

كلمة صاحب الغبطة البطريرك الكردينال نصرالله بطرس صفير

رئيس مجلس البطاركة والمطارنة الكاثوليك في لبنان

لدى افتتاح دورة المجلس الرابعة والثلاثين

بكركي، في ١٣ تشرين الثاني ٢٠٠٠

أصحاب الغبطة،

صاحب السيادة ممثل قداسة الحبر الأعظم،

أصحاب السيادة، الآباء العامين، والأمهات العامات،

أيها الأخوة،

متغيّرات على صعيد الأعضاء

١. إنّنا نأسف لعدم تمكّن صاحب الغبطة الجليل كبيرنا البطريرك مكسيموس الخامس حكيم، بطريك انطاكية للروم الملكيين الكاثوليك، من مشاركتنا في أعمال هذه الدورة، بسبب ظروفه الصحية، وقد أوفد صاحب السيادة المطران يوحنا حداد، المطران المدبّر الرسولي للبطريركية لنيوب منابه في هذه الدورة. إنّنا نرحّب بسيادته بهذه الصفة.

٢. وإنّا نستمطر شآبيب الرحمة على نفس أختينا المثلث الرحمة المطران حبيب باشا، مطران بيروت للروم الملكيين الكاثوليك الذي نقله الله إلى جواره خلال هذه السنة، ونسأل الله أن يجزيه جزاء الرعاية الصالحين، ونرحب بخلفه صاحب السيادة المطران يوسف كلاس سائلين الله له التوفيق في رعاية أبنائه في أبرشية بيروت.

٣. وإنّا نبدي أسفنا لوفاة المثلث الرحمة المطران يوسف توماس، مطران بيروت للكلدان، الذي صارع المرض طوال سنوات، سائلين الله أن يفسح له في دار النعيم إلى جانب الرعاية المجاهدين، ونرحّب ترحيباً مقروناً بأحسن الدعاء بالتوفيق، بمن يقوم مقامه معنا اليوم، حضرة المونسنيور ميشال قسارجي المدبّر البطريركي للأبرشية.

٤. ونتمنى النجاح لصاحب السيادة المطران أنطوان الياس بيلوني الذي يعود إلينا بوصفه معاونًا بطريكًا للسريان الكاثوليك، وذلك بعد سنوات انقطاع، قيامًا بالواجب الراعوي في مدينة حلب.
- هذا على صعيد السلك الأسقفي. أما على صعيد الرهبانيات فقد حصل بعض التغيير بالنسبة إلى هذا المجلس، وهو التالي:
٥. انضم إلى هذا المجلس الأرشمندريت ساروفيم قصابجي، المندوب الرسولي على الرهبانية الباسيلية الحلبية، فحلّ محلّ الرئيس العام المستقيل الأرشمندريت عبدالله راهب. فأهلاً وسهلاً به.
٦. انضم أيضاً إلى هذا المجلس الأب كرميلو فنيانوس، الرئيس الإقليمي للآباء الكرمليين، فحلّ محلّ الأب جورج أبو جوده، الرئيس الإقليمي لجمعية الآباء اللعازريين. أيضاً أهلاً وسهلاً به.
٧. وحلّ الأخ أنطوان جرجور، الزائر الإقليمي للأخوة المريميين، محلّ الأب مارون باسيل، رئيس شبة إقليمي للشرق الأوسط للرهبانية الكبوشية. نرحّب بالعضو الجديد.
٨. وحلّت الأم كلوتيلد سماحة، الرئيسة العامة للرهبانية الباسيلية الشورية، محلّ الأخت ماري كلود روك المسؤولة عن جمعية يسوع المسيح. على الرحب والسعة.

موضوع الدورة

موضوع دورة مجلسنا هذه السنة: «اللجان الأسقفية وعملها على مدى السنوات الأربع الأخيرة». ويشير جدول الأعمال إلى بحث ما قامت به لجنة يوبيل العام ٢٠٠٠، وقضية دعم الوسيلة الإعلامية المرئية تبلي لوميار، ومشروع تطوير رابطة كاريثاس وتحديثها، ثم ننتقل إلى حلقات حوار يدور البحث فيها عن أوضاع اللجان الأسقفية. ولا يخفى أن هذه اللجان تتضخّم حيناً، ثم لا تلبث أن تضمر حيناً آخر عن طريق الدمج. وقد بلغ عددها حتى الآن سبع عشرة لجنة. ويعود إلى مجلسكم الكريم تقييم أعمال هذه اللجان ورؤية ما إذا كان بالإمكان الاستغناء عن بعضها أو دمجها بسواها.

هيكلية المجلس

وغني عن القول إنه يستحيل على هذا المجلس وعلى كل مجلس آخر أن يقوم بمهامه دون أن يكون له لجان تضمّ أعضائه وتفسح لهم في المجال لتبادل الرأي وتدارس مختلف المواضيع التي تعرض عليهم ومناقشتها وتضع لها خطة تطبيقية تمكّن من بلوغ الغاية المنشودة.

واللجان هي جهاز أساسي من هيكلية المجلس التي تتألّف، ما عدا اللجان، من مجلس

الرئاسة، والهيئة التنفيذية، والأمانة العامة. وقد عملت هذه الأجهزة بانتظام. فاجتمع مجلس الرئاسة كلما دعت الحاجة، ونظر في ما عُرض عليه من أمور. وقامت الهيئة التنفيذية بواجبها فعقدت اجتماعاتها الشهرية بحسب الروزنامة الموضوعية، وعملت على تنفيذ قرارات المجلس، وعالجت الأمور المستجدة المحالة عليها، وذلك بالتنسيق مع الأمانة العامة. وظلت الأمانة العامة ناشطة، فأعدت دورات المجلس بانتظام، وأرسلت دائماً نسخاً عن المراسلات والتعليمات الواردة من الكرسي الرسولي إلى الأعضاء المعنيين، وأسست هيئة جديدة تضم أمناء سرّ مختلف لجان المجلس، وقد بدأت هذه الهيئة تقوم بعمل إيجابي ومفيد.

أما دورات المجلس فقد تبين أن مشاركة أعضاء المجلس فيها قد تكتفت في الفترة الأخيرة، وهي تعالج مواضيع الساعة على ضوء تعليم الكنيسة، وبخاصة الإرشاد الرسولي «رجاء جديد للبنان» الذي لا يزال موضع تطبيق وتفعيل. وكان ليوبيل سنة الألفين نصيب كبير من نشاط أعضاء المجلس. وقد انفتحت الكنيسة عندنا على كنائس الشرق، فكان المؤتمر المعروف الذي اشترك فيه عدد كبير من أساقفة المنطقة وممثلون عن بعض الكنائس الغربية. وأنشأ المؤتمر أمانة عامة مشتركة. وبعد، فإن لجان المجلس التي هي موضوع دورتنا ستقدّم لهذا المجلس تقارير عن أعمالها طوال أربع سنوات.

الوضع الكنسي العام

هذا على صعيد هذا المجلس وبخاصة لجانه. أما على صعيد الوضع الكنسي العام، فنلاحظ أن السنة اليوبيلية كانت موسم بركة ومناسبة طيبة لتجديد روحي عن طريق ما قام به المؤمنون عندنا من نشاطات تقوية برعاية لجنة اليوبيل المحلية، منها الزيارات إلى الأماكن المقدسة في لبنان، وشعلة سنة الألفين التي اشترك فيها مواطنون من بلدان مجاورة، وتمثليات وندوات إذاعية ومصوّرة. ونعتقد أن القيميين على هذه اللجنة سيتحدّثون عن إنجازاتها.

وقد اشترك عدد كبير من الشبان والشابات اللبنانيين في يوم الشبيبة العالمي في روما، كما اشترك سواهم في يوبيل أساتذة الجامعات، ويوبيل العائلات، واشترك عدد من بيننا في يوبيل الأساقفة دائماً في روما. ومن شأن هذه الاحتفالات أن تقوّي الإيمان، وبالتالي الرجاء المسيحي الذي نشعر بأننا بأمرّ الحاجة إليه في هذه الأيام.

وعلينا أن نصلي ونبذل الجهد لتوعية المؤمنين عندنا على موجبات إيمانهم المسيحي ليكون عندنا مؤمنون، يعيشون هذا الإيمان في حياتهم اليومية، ويتبعون ما يوحي به إليهم من أقوال وأعمال وتصرفات. على ما يقول البابا يوحنا بولس الثاني: «إن الكنيسة اليوم تحتاج إلى مسيحيين مستعدين

ليكونوا شهوداً لهويتهم الخاصة، ومتطوعين للقيام بواجباتهم في العالم كخميرة إيمان، ومسؤولة، وتطور، وكرامة إنسانية في جميع الأوساط الاجتماعية. ويسعون إلى مدّ العالم بغنى روحي ليكون هذا العالم أكثر إنسانية وأخوة». إذ ذاك يمكنهم أن يكونوا صانعي سلام، بحيث يضعون موضع العمل ما قاله قداسته أيضاً للسلك الدبلوماسي المعتمد لدى الكرسي الرسولي منذ ثلاث سنوات بشأن صنع السلام، وهو: «لا يمكن أبداً أن يكون السلام عادلاً ومديداً إلا إذا ارتكز إلى حوار صادق بين أفرقاء متساوين، يتم في جوّ من احترام هوية كلّ منهم وتاريخه، وإلا إذا ارتكز إلى حق الشعوب في تقرير حرّ لمصيرهم، واستقلالهم، وأمنهم. ولا مجال إلى الاستثناء».

الوضع في المنطقة

أجل لا مجال إلى الاستثناء. وإن ما نشهده من معارك بين فلسطينيين وإسرائيليين منذ قرابة شهر لهو حقاً مفرح. أفليس مفرحاً أن ينساق القتلى من صبيان الحجارة تساقط العصافير برصاص البندقيات والرشاشات، وأن ينتشر هذا الجوّ من الحقد الدفين والبغضاء القاتلة، فيما خلق الله الناس لكي يتعايشوا ويتحابوا ويتعاونوا فيما بينهم لخيرهم المشترك. وكل هذا مردّه إلى رفض الطرفين المتنازعين الحوار الصادق بين متساوين في جوّ من احترام كل منهما لهوية الآخر وتاريخه وبحقّه في تقرير حرّ لمصيره واستقلاله وأمنه؟

وما القول عن القدس وهي موضوع نزاع طويل قديم جديد. وقد أعلن الكرسي الرسولي أنه لا صلاحية له لمعالجة أمور يجب أن تكون موضوع مفاوضات ثنائية بين السلطتين الفلسطينية والإسرائيلية لمعرفة ما إذا كان واجباً أن تكون عاصمة هذه أو تلك من الدولتين. غير أنه لا يعتبرها متحفاً يزوره السياح بل مكاناً مقدساً يجب أن تكون مفتوحة لأتباع الديانات الثلاث الموحدة بخاصة، ولكل المؤمنين بوجه عام بحيث يقومون فيها بواجب تقوي دون شروط وقيود. لذلك يجب أن يكون لها وضع خاص مضمون دولياً. وموضوع هذه الضمانات التي تقرّها الأمم المتحدة هو:

١. حرية الدين والضمير للجميع،
٢. المساواة القانونية للأديان الثلاثة الموحدة ومؤسساتها واتباعها،
٣. احترام هوية المدينة وطابعها المقدس وتراثها الديني والثقافي الذي له معنى شامل،
٤. حرية الوصول إلى الأماكن المقدسة والعبادة فيها،
٥. نظام «الوضع القائم» في هذه الأماكن المقدسة حيثما هو مطلوب.

الوضع الوطني

لا نريد أن نتوقّف عند قضية المهجّرين، ويبدو أنها موضوع عناية، وكان هناك وعد بإنهائها في مدى محدود، وهذا ما نأمله، ولا نتوقّف عند الجنوب وما يعانيه أهله من حرمان وعذاب وقلق، وهم يشعرون بأنهم دون حماية يؤمّنها لهم جيش هو لهم، وهم له، ويرفض المعنيون حتى اليوم، إرساله إليهم لبيسط سيادة الدولة على أرضها، وذلك لأسباب لم تقنع أوساط الأمم المتحدة. وقد سبق لنا أن تحدّثنا عن الأزمة الاقتصادية وما تتسبّب به من هجرة كثيفة، وتحديثه من ضيق أصاب الأفراد الذين لا يلقون عملاً، والعائلات التي تعجز عن مواجهة متطلبات الحياة من غذاء ودواء وكساء ومدرسة.

ولكننا نريد أن نعود إلى موضوع النداء الذي أطلقناه في العشرين من الشهر الفائت، وهو وجود الجيش السوري في لبنان منذ ربع قرن، والذي قلنا فيه إنه آن الأوان ليعيد انتشاره بموجب نصّ وثيقة الوفاق الوطني. وإعادة الانتشار، بحسب هذه الوثيقة، (سنتان)، زمنيًا، (إلى البقاع) مكانيًا. وهذه إعادة أمر محسوم قانونًا، وإن لم ينفذ على الأرض، وبالتالي لا يمكن لأية جهة أن تشرّعه لأن المواقف السياسية لا يمكنها أن تنقض أو تلغي الوثائق الأساسية التأسيسية في حياة الدولة. وإعادة الانتشار تمهّد لانسحابه الكامل تنفيذًا لاتفاق الطائف. وقلنا هذا ينبع من مشاعر صداقة نريد الإبقاء عليها بين البلدين، لا بل نريد أن تتطوّر وتتأصلّ لخير الشعبين.

ومن شأن هذا الوجود الطويل المتماذي أن يغدّي المخاوف التي ما زال بعض اللبنانيين وغير اللبنانيين يشعرون بها، والتي تعبّر عنها أقوال يسمعونها تتردّد، منذ زمن، في أوساط سورية رسمية من مثل: لبنان لا وجود له في التاريخ والجغرافيا، أو إن حدوده مصطنعة وضعها الانتداب الفرنسي، أو إن الشعب اللبناني والشعب السوري شعب واحد في بلدين. وهذه مقولة تؤدّي إلى ضمّ البلدين ليصبحا شعبًا واحدًا في بلد واحد، على ما جرى للنمسا مع ألمانيا (انشلوس)، في زمن غير بعيد. وأما ما نسمعه اليوم فهو: إذا انسحب الجيش السوري من لبنان وقعت الفتنة، أو إن وجوده جزء من السلم الأهلي فيه أو إن وجوده يضمن التوازن في هذا البلد. وهذا دليل على أن هذا الوجود أكثر من مؤقت.

هذا فضلًا عن تجنيس أعداد كبيرة من السوريين الذين أعطوا فورًا حق الانتخاب، فيما اللبنانيون يهاجرون. وذلك بالإضافة إلى الهيمنة السورية القائمة الآن على جميع المرافق اللبنانية. وهذا ما يتسبّب بتغييب لبنان شيئًا فشيئًا عن الساحة الدولية، وقد أصبح ولا قرار له ولا سيادة ولا استقلال.

وجاءت الاتفاقات العديدة المتفرعة عن معاهدة الأخوة والتعاون والتنسيق تعزّز هذه المخاوف. وقد تبين حتى الآن أنها أتت جميعها لمصلحة فريق دون الآخر، حتى في المجال الثقافي، وهو ثروة لبنان، ولا ثروة له سواها. وخير مثل على ذلك إعفاء الطلاب السوريين من مسابقات الدخول في الكليات التطبيقية من طب وهندسة وصيدلة، وذلك بناء على طلب رسمي سوري لبّته الحكومة اللبنانية منذ

حوالي الشهر، فيما يُمنع الطلاب اللبنانيون من دخول هذه الكليات إلا بعد إجراء مسابقات بموجب القوانين، وهذا أمر مشكور. فضلا عن تفاوت أعداد الطلاب المستفيدين من الجانبين لمصلحة أحد الفريقين. أفلا يؤدي هذا التصرف إلى خفض المستوى العلمي، وبالتالي إلى انتزاع الثقة من الجامعات اللبنانية، فيما المطلوب رفع هذا المستوى. هذا نموذج. أفلا تستحق هذه المخاوف النظر فيها والعمل على تبديدها، إذا لم يكن لها أساس من الصحة، وإذا كانت فعلا وليدة الخوف والوهم؟

لقد حان الوقت لإخراج العلاقة بين البلدين من حال الضبابية إلى حال الوضوح بإقامة علاقات دبلوماسية صريحة، شأن كل الدول ذات السيادة والاستقلال والقرار الحرّ.

إذا كنا نتطرق مجدداً إلى هذا الموضوع فلأن أخطاره كثيرة على الطرفين، ونحن نريد أن تتوطد الثقة بينهما وتتبدد المخاوف، فعسى أن يتنقى الجو ويكون هناك علاقات صداقة وتعاون وتنسيق صحيح لخير لبنان وسوريا.

ونأمل أن يتعاطف المسؤولون عندنا مع الشعب اللبناني فيشعروا شعوره، ويعملوا على تحقيق أمانيه. إنا نسأل الله لهم التوفيق في المهمة الشاقة الملقاة على عاتقهم، وتسديد خطانا جميعاً إلى ما فيه رضاه ونيل بركاته.